

## نموذج

### ﴿ من كتاب التوسل والوسيلة ﴾

لشيخ الاسلام ابن تيمية الذي طبع في هذه الايام. قال بعد بحث وتحقيق مانصه:  
 اذا عرف هذا فقد تبين ان لفظ الوسيلة والتوسل فيه اجمال واشتباه  
 يجب ان تُعرف معانيه ويمطى كل ذي حق حقه فيعرف ماورد به الكتاب  
 والسنة من ذلك ومعناه وما كان يتكلم به الصحابة ويفعلونه ومعنى ذلك  
 ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه فان كثيرا من اضطراب  
 الناس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الاجمال والاشترار في  
 الالفاظ ومعانيها حتى تجدد أكثر ما لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب،  
 فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
 الله وابتغوا اليه الوسيلة) وفي قوله تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه  
 فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً) أولئك الذين يدعون يبتغون  
 الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب  
 ربك كان محذورا) فالوسيلة التي أمر الله ان تبتغى اليه واخبر عن ملائكته  
 وانبيائه أنهم يبتغونها اليه هي ما يتقرب به اليه من الواجبات والمستعبات  
 فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تناول كل واجب ومستعاب  
 وما ليس بواجب ولا مستعاب لا يدخل في ذلك سواء كان محرماً أو  
 مكروهاً أو مباحاً فالواجب والمستعاب هو ما شرعه الرسول فأمر به

أمر ايجاب أو استحباب ، وأصل ذلك الايمان بما جاء به الرسول فجماع  
الوسيلة التي أمر الله الخلق باتباعها هو التوسل اليه باتباع ما جاء به  
الرسول لا وسيلة لأحد الى الله الا ذلك

والثاني لفظ الوسيلة في الاحاديث الصحيحة كقوله صلى الله عليه وسلم «سلوا  
اللهي الوسيلة فانها درجة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وأرجو أن  
أكون انا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة»  
وقوله «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة  
آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته انك لا تخلف  
الميعاد حلت له الشفاعة» فهذه الوسيلة للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة وقد أمرنا  
ان نسأل الله له هذه الوسيلة واخبرنا اننا لا نكون الا لعبد من عباد الله  
وهو يرجو أن يكون ذلك العبد وهذه الوسيلة أمرنا ان نسألها للرسول  
واخبرنا أن من سأل له الوسيلة فقد حلت عليه الشفاعة يوم القيامة لان  
الجزاء من جنس العمل فلما دعوا للنبي صلى الله عليه وسلم استحقوا أن  
يدعوا هو لهم فان الشفاعة نوع من الدعاء كما قل انه من صلى عليه مرة  
صلى الله عليه بها عشرًا

واما التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم والتوجه به في كلام الصحابة  
فيريدون به التوسل بدعائه وشفاعته . والتوسل به في عرف كثير من  
المتأخرين يراد به الاقسام به والسؤال به كما يتسمون بغيره من الانبياء  
والصالحين ومن يفتقدون فيه الصلاح

وحيثما لفظ التوسل به يراد به معنيان صحيحان باتفاق المسامحين ويراد به معنى

ثالث لم ترد به سنة «فاما المعنيان الاولان الصحيحان باتفاق الملاء فأحدهما هو أصل الايمان والاسلام وهو التوسل بالايمان به وبطاعته والثاني دعاؤه وشفاعته كما تقدم فمما ان جائز ان يجمع المسلمين ومن هذا قول عمر بن الخطاب : اللهم اننا كنا اذا أجدنا توسلنا اليك بنبينا فتسقيننا واننا توسل اليك بهم نبينا فاسقنا. أي بدعاؤه وشفاعته «وقوله تعالى (وابتغوا اليه الوسيلة) أي القربة اليه بطاعته وطاعة رسوله طاعته قال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) فهذا التوسل الاول هو أصل الدين وهذا لا ينكره أحد من المسلمين

واما التوسل بدعاؤه وشفاعته كما قال عمر فانه توسل بدعاؤه لا بذاته ولهذا عدلوا عن التوسل به الى التوسل بعمه المباس ولو كان التوسل هو بذاته لكان هذا أولى من التوسل بالمباس فلما عدلوا عن التوسل به الى التوسل بالمباس علم ان ما يفعل في حياته قد تمدر بموته بخلاف التوسل الذي هو الايمان به والطاعة له فانه مشروع دائما

فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان أحدها التوسل بطاعته فهذا فرض لا يتم الايمان الا به والثاني التوسل بدعاؤه وشفاعته وهذا كان في حياته ويكون يوم القيمة يتوسلون بشفاعته والثالث التوسل به بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ولا يعرف هذا في شيء من الادعية المشهورة بينهم «وانما ينقل شيء من ذلك في احاديث ضئيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة كما سذكر ذلك ان شاء الله تعالى وهذا هو الذي قال أبو حنيفة وأصحابه انه لا يجوز ونهوا عنه حيث قالوا لا يسأل

بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال أبو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح الكرخي في باب الكراهة . وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة « قال بشر بن الوليد : حدثنا أبو يوسف قال قال أبو حنيفة لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن يقول بما قد العز من عرشك أو بحق خلقك . وهو قول أبي يوسف قال أبو يوسف بما قد العز من عرشه هو الله فلا أكره هذا وأكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدوري المسئلة بخلقه لا تجوز لأنه لا حق للخلق على الخالق فلا تجوز وفاظه وهذا الذي قاله أبو حنيفة وأصحابه من أن الله لا يستل بمخلوق له معنيان أحدهما هو . وافق لسائر الأئمة الذين يعمون أن يقسم أحد بالمخلوق فإنه إذا منع أن يقسم على مخلوق بمخلوق فلأن يمنع أن يقسم على الخالق بمخلوق أولى وأحرى . وهذا بخلاف أقسامه سبحانه بمخلوقاته كالليل إذا يمشي والنهار إذا تجلى والشمس ونجومها والنازعات غرقا والصفات منها فإن أقسامه بمخلوقاته يتضمن من ذكر آياته الدالة على قدرته وحكمته ووحدانيته ما يحسن معه أقسامه بخلاف المخلوق فإن أقسامه بالمخلوقات شرك بخالقتها كما في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقد صححه الترمذي وغيره وفي لفظ « فقد كفر » وقد صححه الحاكم وقد ثبت عنه في الصحيحين أنه قال « من كان حالفا فليحلف بالله » وقال « لا تحلفوا بأبائكم فإن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم » وفي الصحيحين عنه أنه قال « من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله » وقد اتفق المسلمون على أنه من حلف بالمخلوقات

المحرمة او بما يتقد هو حرته كاعرش والكرسي والكنبة والمسجد الحرام  
 والمسجد الاقصى ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين  
 والملوك وسيوف المجاهدين ورتب الانبياء والصالحين واهمان السدي  
 وسراويل الفتوة وغير ذلك لا يتمد بهينه ولا كفارة في الحلف بذلك  
 والحلف بالمخلوقات حرام عند الجمهور وهو مذهب ابي حنيفة  
 واحد القولين في مذهب الشافعي واحمد وقد حكي اجماع الصحابة  
 على ذلك . وقيل هي مكروهة كراهة تنزيه والاول اصح حتى  
 قال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر : لأن  
 احلف بالله كاذبا احب الي ان احلف بنير الله صادقا . وذلك لأن الحلف  
 بنير الله شرك والشرك اعظم من الكذب . وانما نعرف النزاع في  
 الحلف بالانبياء فمن احمد في الحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم روايتان  
 احدهما لا يتمد اليهين به كقول الجمهور مالك وأبي حنيفة والشافعي  
 والثانية يتمد اليهين به واختار ذلك طائفة من أصحابه كالتاضي واتباعه .  
 وابن المنذر وافق هؤلاء . وقصراً كثر هؤلاء النزاع في ذلك على النبي  
 صلى الله عليه وسلم خاصة وعدى ابن عقيل هذا الحكم الى سائر الانبياء .  
 وايجاب الكفارة بالحلف بمخلوق وان كان نبيا قول ضيف في الغاية  
 مخالف للاصول والنصوص فالاقسام به على الله والسؤال به بمعنى الاقسام  
 هو من هذا الجنس ،

(المناج) ثم حقق المصنف مسألة سؤال الله بما ليس سبباً للإجابة كسؤاله بخلقه  
 وسؤاله بما هو سبب شرعي للإجابة كالإيمان والطاعة . وقد أودعنا بمض كلامه  
 في تفسير الجزء الماضي (السابع) ثم قال من فتوى أفتاها بمصر مانصه :

فاما التوسل بذاته في حضوره أو مفنيه أو بعد موته مثل الاقسام بذاته أو بغيره من الانبياء أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم فليس هذا مشهوراً عند الصحابة والتابعين بل عمر بن الخطاب ومعاوية بن ابي سفيان ومن بحضرتهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان لما اجذبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً كالعباس وكزيد ابن الاسود ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا ولم يستسقوا في هذه الحال بالنبي صلى الله عليه وسلم لا عند قبره ولا غير قبره بل عدلوا الى البديل كالعباس وكزيد بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال: عمر اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بم نبينا فاسقنا. فجعلوا هذا بدلا عن ذلك لما تمدران يتوسلوا به على الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه وقد كان من الممكن ان يأتوا الى قبره ويتوسلوا هناك ويقولوا في دعائهم بالجاه ونحو ذلك من الالفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق على الله عز وجل أو السؤال به فيقولون نسألك أو نقسم عليك بنبيك أو بجاه نبيك ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس

وروى بعض الجهال عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: اذا سأتم الله فاسأله بجاهي فان جاهي عند الله عظيم، وهذا الحديث كذب ليس في شيء من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث مع ان جاهه عند الله تعالى أعظم من جاه جميع الانبياء والمرسلين وقد أخبرنا سبحانه عن موسى وعيسى عليهما السلام انهما وجيهان عند الله فقال تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا تكفروا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً )

وقال تعالى ( اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يشرك بكامة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ) فاذا كان موسى وعيسى وجيهين عند الله عز وجل فكيف بسيد ولد ادم صاحب المقام المحمود الذي يعبطه به الاولون والآخرون، وصاحب الكور والحوض المورد الذي آنته عدد نجوم السماء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلا من العسل ومن شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً، وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة حين يتأخر عنها آدم وأولو العزم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ويتقدم هو واليهاء، وهو صاحب الراء آدم ومن دونه تحت لوائه، وهو سيد ولد آدم وأكرمهم على ربه عز وجل، وهو امام الانبياء اذا اجتمعوا وخطيبهم اذا وفدوا ذوا الجاه العظيم صلى الله عليه وسلم وعلى آله

ولكن جاه المخلوق عند الخالق تعالى ليس كجاه المخلوق عند المخلوق فانه لا يشفع عنده أحد الا باذنه ( إن كل من في السموات والارض الا أتى الرحمن عبداً \* لقد احصاهم وعدم عدا ) وقال تعالى ( لن يستكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً \* فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفى لهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استكفوا واستكبروا فيمنهم عذاباً أليماً ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً )

والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير اذنه فهو شريك له في حصول المطلوب والله تعالى لا شريك له كما قال سبحانه ( قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من

شرك وما له منهم من ظهير \* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له )  
وقد استفاضت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى  
عن اتخاذ القبور مساجد ولعن من يفعل ذلك ونهى عن اتخاذ قبره عيداً  
وذلك لأن أول ما حدث الشرك في بني آدم كان في قوم نوح قال ابن  
عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ووثبت في  
الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أن نوحاً أول رسول بعثه الله إلى  
أهل الأرض وقد قال تعالى عن قومه أنهم قالوا ( لا تَدُونُ آَلِهَتِكُمْ وَلَا  
تَدْرُونَ وِدَاءَ وَلَا سِوَاءَهُ ) ولا يفوت ويهوق ونسرا وقد أضلوا كثيراً قال  
غير واحد من السلف هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح فلما ماتوا عكفوا  
على قبورهم فلما طال عليهم الأمد عبدوهم . وقد ذكر البخاري في صحيحه  
هذا عن ابن عباس وذكر أن هذه الآلهة صارت إلى العرب وسمي قبائل  
العرب الذين كانت فيهم هذه الأصنام

فلما علمت الصحابة رضوان الله عليهم أن النبي صلى الله عليه وسلم حسم مادة  
الشرك بالنهي عن اتخاذ القبور مساجد وأن كان المصلي يصلي لله عز وجل كما  
نهى عن الصلاة وقت طلوع الشمس ثلاثين يوماً للمصلين للشمس وإن كان المصلي  
إنما يصلي لله تعالى وكان الذي يقصد الدعاء باليت أو عند قبره أقرب إلى  
الشرك من الذي لا يقصد إلا الصلاة لله عز وجل لم يكونوا يفعلون ذلك  
وكذلك علم الصحابة أن التوسل به إنما هو التوسل بالإيمان به وطاعته  
ومحبته وموالاته والتوسل بدعائه وشفاعته فلماذا لم يكونوا يتوسلون  
بذاته مجردة عن هذا وهذا فلما لم يفعل الصحابة رضوان الله عليهم شيئاً

من ذلك ولا دعوا بمثل هذه الادعية وهم اعلم منا<sup>(١)</sup> واعلم بما يجب الله  
ورسوله واعلم بما امر الله به رسوله من الادعية وما هو اقرب الى الاجابة  
متأبلاً وتوسلوا بالعباس وغيره ممن ليس مثل النبي صلى الله عليه وسلم - دل  
عدولهم<sup>(٢)</sup> عن التوسل بالافضل الى التوسل بالافضل ان التوسل المشروع  
بالافضل لم يكن ممكناً الخ

## باب المناظرة والمهراصلة

﴿ الدكتور شبلي افندي شميل ﴾

اطلعت في مجلة الهلال شهر حزيران سنة ١٩٠٩ على مقالة للدكتور الموما اليه  
بحث بها بحثاً فلسفياً يخال للمطالم من أول وهلة ان الدكتور قصد به محاربة الاديان  
الساوية على الاطلاق بما توخاه من نفي الخلق واثبات النشوء وقد عجزت بسد  
اطاله لتأييد هذا المذهب الجديد من قوله : « لاهياء في الدين » وهذا مما يدل ان  
للدكتور ديناً فما هو دينه يا ترى ؟

سعى اخوان الدكتور الموما اليه لاخذ توقيع بعض الناس لانتخابه عضواً في  
مجلس الاعيان العثماني بصفة انه عالم مسيحي وعالمية والمسيحية صفتان مرتبطتان  
بنواميس وقواعد توجب السلامة لكل بني البشر باعتبار ان للمسلم اصولاً تقتضي  
ياحقاق الحق كما ان الدين قانون لمكارم الاخلاق يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر  
وكنت استغرب عدم تعيين الموما اليه بهذا ذلك الانتخاب ولعل الذين رفضوا

(١) يحتمل ان يكون ههنا شيء محذوف وهو ما يأتي نظيره في لاحق الكلام  
ويحتمل ان يكون المراد انهم اوسع علماً مني على الاطلاق ثم عذقت اعقير عن المصطفى  
(٢) هذا جواب ثوبه فلما علمت الصحابة الخ